الإمام حسن البصرى

رضى الله عنه

من سنة ٢١هـ - ١١٠ هـ

للأستاذ الدكتور

محمود عبد الله العكازى

نسبه ومولده:

هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار شيخ الإسلام البصرى.

ولد فى سنة ٢١ هجرية. وكانت ولادته بالمدينة المنورة فى بيت السيدة أم سلمة رضى الله عنها. زوج النبى صلى الله عليه وسلم سنة إحدى وعشرين للهجرة النبوية، لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

أما نسبه بالنسبة لأبويه: فأبوه يسمى [يسارا] وكان من سبى ميسان وميسان. "بليدة صغيرة بأسفل البصرة بالعراق. وهى كورة واسعة بها نخل كثير، وكان أبوه قبل أن يدخل فى الإسلام يسمى [فيروز].

وصار بعد السبى مولى للصحابى الجليل زيد بن ثابت رضى الله عنه.

وأمه: تسمى (خيرة) وهى من السبايا أيضاً، صارت بعد ذلك مولاة لأم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها: ثم تزوج يسار من [خيرة]. وفى هذا البيت النبوى الكريم ولد [الحسن] فى سنة ٢١هـ الموافق سنة ٦٤١م.

نشأته وأثر البيئة عليه:

نشأ الحسن البصرى فى أطهر الأمكنة، مع أرقى أناس بين البشر، حيث نشأ فى المدينة المنورة. بعد أن مكث مدة طفولته فى وادى القرى ينعم بهوائها الطلق وجوها الهادى. وعربيتها الخالصة.

وكان أبوه يعمل فى الشئون الزراعية. وهى سبب من أسباب البركة التى حلت فيه. وتحكى بعض المراجع أن أم سلمة رضى الله عنها كانت تعطية ثديها تعلله به إلى أن تجئ أمه من عملها الذى تشتغل به. وربما درَّ عليه ثديها فشربه مما كان له أجمل الأثر عليه. وكان الحسن البصرى فى مرحلة طفولته فى المدينة المنورة بين أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فكان يتردد على المسجد النبوى ويسمع بعض الصحابة عليهم الرضوان. ونتيجة لذلك. حفظ القرآن الكريم والكثير من أحاديث المصطفى صلوات الله عليه وسلامه.

كما كان يتردد مع أمه فى بيوت أمهات المؤمنين: فكان يكتسب من هذا الفقه فى الدين والعلوم الشرعية كالمسجد.

وفى المدينة المنورة شهد الحسن البصرى ما وقع فيه المسلمون من فتن مثيرة أدت إلى سفك الدماء. وذلك يتمثل فى قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه. فانطبعت هذه الصورة الدامية فى نفسه حيث جعلت عوامل الخوف والحزن تلازمه طوال عمره.

وكانت مشاهدته لمصرع عثمان رضى الله عنه وهو بالمدينة وهو فى الرابعة عشر من عمره كما قال هو عن نفسه [كنت بالمدينة يوم نيل من عثمان وكنت ابن أربع عشرة سنة].

كذلك سمع دعوة أبى ذر الغفارى رضى الله عنه إلى توزيع أموال الأغنياء على الفقراء. مما كان له الأثر الكبير فى تكوين شخصيته وبخاصة بعد أن انتقل من المدينة المنورة إلى البصرة.

انتقاله إلى البصرة:

فى العام السادس والعشرين من الهجرة النبوية المشرفة انتقل الحسن البصرى رضى الله عنه من المدينة المنورة إلى البصرة بالعراق لاعتبارات متعددة: كالحنين إلى الوطن، وخروج الأمام على رضى الله عنه من المدينة، والتكسب للارتزاق والتغلب على متطلبات الحياة وغير ذلك.

وكانت منطقة العراق أن ذاك مركزًا للجدل والمناقشات. كما كانت موطناً مدنيات قديمة متعددة ومتنوعة.

فمثلا فى مجال الفقة: كان على رأس فقهاء العراق عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، ثم علقمه وإبراهيم النخعى وحماد بن أبى سليمان وغيرهم. وتتلمذ وتربى على مائدة هؤلاء الأعلام أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفى واستطاع الحسن البصرى رضى الله عنه. فى معتلج الآراء وتنوع تلك الثقافات وتنوع المذاهب وازدهار الحركة العلمية

- استطاع أن يتخذ له مذهبًا يدين به حق الإيمان، وأذعن له كل الإذعان. وكان كالطود الأشم تصطدم به الرياح فتتبدد حوله. وهو صامد فى مكانه لأن صاحب النفس القوية كالحسن البصرى يكون كالشجر الثابت يأخذ من الريح العاصف غذاءه ولا يصاب بدائه وأذاه.

حياته الأسرية:

تزوج الحسن البصرى رحمه الله من أصل غير عربى كما هو متبع فى هذا الوقت الذى كان سائدًا فيه عدم تزويج العربية من غير العربى.

ولكن زوجته هذه لم تكن على مستوى الزوجية له لأنها كثيرًا ما كانت تصدم به فى منهاج حياته لإختلاف الطبع.

وقد رزق الحسن منها بولد يسمى سعيدًا وبه كان يكنى. كما كان يكنى بعبد الله.

كما رزق من زوجته ببنت. وقد زوجها لرجل أحسن الحسن معاملته لدرجة أن زوج ابنته عندما كان يزوره كان الحسن يقول له [مرحبا بمن كفى المؤنة وستر العورة - ثم يتنحنى له عن مكانه تكريمًا له].

وقد ولد للحسن غلام فقال له بعض جلسائه: بارك الله لك فى هبته وزادك من أحسن نعمته، فقال الحسن: الحمد لله على كل حسنه، ونسأل الله الزيادة فى كل نعمة، ولا مرحبًا بمن إن كنت عائلا أتعبنى، وإن كنت غنيا أذهلنى. لآ أرضى يسعى له سعيا، ولا بكدى فى الحياة له كدا. حتى أشفق له من الفاقة بعد وفاتى. وأنا فى حال لا يصل إلى غمه حزن، ولا من فرحه سرور.

ولا يصح أن نفهم من كلامه هذا أنه يكره الأولاد، وإلا لما تزوج وأنجب ولكن مركزه فى المجتمع الذى عاش فيه، وهدفه السامى الكبير، وهو تحويل سير مجرى الأمة إلى تعالى جعله يريد التفرغ كلية لهذا العمل الضخم استرشادا

بقوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله][1] وقوله جل شأنه [يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم. إنما أموالكم وأولادكم فتنه][2].

وكان الحسن رحمه الله يعيش مع أسرته عيش من ينتظر النعيم الدائم يوم القيامة. وإذا أخذ العطاء من الدولة – الذى لا يفهم منه الأجر حجز لأسرته ما يسد الرمق الضرورى ويستر العورة ويوزع الباقى على الفقراء المحتاجن وهو فى هذا يماثل ما كان الصحابة عليهم الرضوان كعمرو رضى الله عنه غيره.

وكان رحمه الله كثير التردد على المسجد يؤدى ما عليه نحو الله تعالى من عبادات وتقرب إليه.

معرفته لحق الجوار:

كان رحمه الله يفهم معنى الجوار ويعمل حتى ولو كان هذا الجار غير مسلم. حيث كان له جار يهودى كثيرا ما كان يحسن صلته.

وكان يستريح وقت القيلولة ليستعين بهذه الراحة على القيام بالليل للعبادة والتهجد مقتديًا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى وخرَّجه عن أنس رضى الله عنه مرفوعًا [قيلوا فإن الشياطين لا تقيل][3].

وقضى الحسن – رحمه الله – معظم حياته بين بيته المتواضع الذى وصفه تلميذه مطر بقوله: دخلنا على الحسن نعوده فما كان فى البيت شئ لا فراش ولا بساط ولا حصير إلا سرير مرموك عليه.

---

(١) سورة المنافقون الآية (٩).

(٢) سورة التغابن الآية (١٤) – (١٥).

(٣) المعجم الكبير للطبرانى ١٣١/٧، المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٥٦.

ولقد كان منزله وما يحتوية يقى فقط من برد الشتاء وحر الصيف - غالبا - وكان فى غاية البساطة ومنتهى التواضع من حيث المبنى وما فيه من الأدوات التى تذكره وتذكرنا بما كان عليه سيد الخلق صلى الله عليه وسلم. فقد روى أبو داود وابن ماجه والترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: مرَّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خُصًا فقال: [ما هذا؟] قلنا: خُص لنا قد وهى. فقال [أرى الأمر أعجل من ذلك][1].

ويصور الحسن رضى الله عنه هذا بقوله: كنت إذا دخلت بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم ضربت بيدى إلى السقف.

تحريه الحلال وتجنبه ما يريب:

كان الحسن البصرى رحمه الله يتحرى الحلال بشكل واضح لا يعترية لبس ولا غموض ولذا فإنه قد أجبر دولة بنى أمية على احترامه وخطب وده وإجلاله.

وأصبح إلى يومنا هذا الإنسان الذى يتطلع إليه كل من أراد عز الدارين وقد بلغ من عظمته أن كان يلزم أسرته بهذا الخلق الرفيع ويحملهم عليه بحكمة يندر وجودها أسوة بمن سبقه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واضعًا نصب عينيه قوله تعالى [يا أيها الذين آمنو قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة][2].

ويذكر عنه حميد الطويل أنه قال: خطب رجل إلى الحسن ابنته وكنت السفير بينهما فرضيه الحسن وأراد أن يزوجه بها. فأثنيت عليه ذات يوم وقلت: وأزيدك يا أبا سعيد أن له خمسين ألفا. قال: أقلت خمسون ألفا عنده؟ ما اجتمعت من حلال - قلت: أبا سعيد إنه والله ما علمت عليه ورع مسلم. فقال: إن كان جمعها من حلال لقد ضن بها على الحق. لا يجرى بينى وبينه صهر أبدا.

---

(١) سنن الترمذى كتاب الزهد ٤/١٥٠ برقم ٢٣٤٢، سنن ابن ماجه كتاب الزهد ١٣٩٣١٢ برقم ٤١٦٠.

(٢) سورة التحريم الآية (٦).

مجلس الحسن:

كان للحسن البصرى رضى الله عنه مجلسان يلتقى فيهما بطلاب العلم.

أحدهما: فى المسجد. وكان مجلسا عاما لكل من يريد التفقه فى الدين وكان رحمه الله - فاسحا صدره لجميع ما يوجه إليه من أسئلة. ولم يكن فى مجلسه هذا استبداد برأيه بحيث لا يدع الكلام لغيره. بل كان على العكس متواضعا فى ذلك غاية التواضع. مما جعل تلميذه واصل بن عطاء يرد على سؤال مرتكب الكبيرة. وكان السؤال موجهًا إلى الحسن البصرى ولكن التلميذ واصل بن عطاء أجاب على السؤال قبل أن يجيب الحسن عليه. مما حمل الحسن أن يقول: اعتزلنا واصل.

وقد ذكر الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل: أن واحدا دخل على الحسن البصرى فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان. كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقادا؟

ففكر الحسن فى ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا أقول: إن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا. بل هو فى منزلة بين المنزلتين. لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى إسطوانة من إسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن: اعتزلنا واصل. فَسُمَّى واصل وأصحابه معتزلة.

ولقد تطور مجلس الحسن هذا فى مسجد البصرة لدرجة أنه كان عبارة عن المقياس الذى توزن به درجة الثقافة الإسلامية آن ذاك.

ثانيهما: مجلس فى بيته المتواضع مع بعض أصفيائه من أهل التقوى والورع والزهد. وكان - رحمه الله - يعنى بهم عناية خاصة حتى إن أهله كانوا يملون منهم لطول ما يجلسون معه. ولكن سرعان ما يبين لهم أهميتهم وحبه لهم فيصرف أهله النظر عنهم.

اشتراكه فى الفتوحات الإسلامية:

إن حياة الحسن رضى الله عنه لم تكن فى البصرة وحدها. بل كان يرتحل عنها كلما سنحت له الفرصة لأداء واجب من الواجبات كتأدية فريضة الحج والاسهام فى الفتوحات الإسلامية وكل ما يؤدى إلى نشر دين الله تعالى.

فقد ثبت اشتراكه فى الفتوحات الشرقية مع الأحنف بن قيس أيام معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه.

وقد مكث الحسن البصرى مع عبد الرحمن بن سمرة فى غزو كابل والاندقان والأندغان وغيرها ثلاث سنوات تقريبا.

وشهد الحسن مع عبد الله بن حازم وقطرى بن الفجاءة والمهلب وغيرهم بعض الفتوحات وفى سنة إحدى وخمسين من الهجرة أستُعمل الربيع بن زياد على خرسان فذهب الحسن معه كاتبا.

واشتراكه فى الفتوحات الإسلامية أتاح له فرصة طيبة حيث تعرف على حياة الحرب كما تعرف على حياة السلم. وقابل الكثير من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والتقى بالكثير من الفقهاء والشعراء. وأمثال عبد الرحمن بن سمره، والأحنف بن قيس وقطرى بن الفجاءة وغيرهم.

وبعد هذه الفترة التى قضاها الحسن فى الفتوحات رجع إلى البصرة وقد عزم فى نفسه على تخليص المجتمع مما لحق به من فساد ينخر فيه. وانهماك الدنيا كاد يؤدى إلى كارثة فى الدين.

فعاد من اشتراكه فى الفتوحات إلى مسجد البصرة بنفس جديدة وهمة عالية للوصول إلى الهدف المنشود الذى رسمه لنفسه وبدأ عمله بحلقات المسجد الجامع حيث التزود بالثقافات الدينية المختلفة التى اتجهت نفسه إليها.

والحسن البصرى – رحمه الله – رأى بثاقب فكره وضوء حكمته وتمام إخلاصه لله تعالى. أن الوقوف أمام أعداء الله تعالى لا يقتصر على الحرب فى ميدان القتال وحده. ولكن لابد من جيوش متعددة لإحراز النصر: جيش لميدان القتال، وجيش للعمل الدائم لتجهيز ما يحتاجه الواقف أمام العدو من طعام وشراب ومعدات وثياب، وجيش لمحاربة الشائعات وإحباط المؤامرات التى ترمى إلى ضعف الروح المعنوية للأمة.

خلفاء بنى أمية الذين عاصروه:

لقد عاصر الإمام الحسن البصرى عددا كثيرا من خلفاء الدولة الأموية منهم معاوية بن أبى سفيان مؤسس دولة بنى أمية ويزيد بن معاوية بن أبى سفيان ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز [وهو الخليفة الوحيد الذى كان موضع إعجاب وتقدير خاص من الحسن البصرى ولم يرتح لأى خليفة من خلفاء بنى أمية مثل ارتياحه إلى عمر بن عبد العزيز وحبه له].

وكان من الخلفاء الأمويين الذين عاصرهم الحسن كذلك: يزيد عبد الملك وأخوه هشام بن عبد الملك. وقد مات الحسن البصرى فى عهده ومن الحكام الذين عاصرهم الحسن: الحجاج بن يوسف الثقفى.

موقفه من الحجاج:

الحجاج بن يوسف الثقفى ولد سنة ٤١هـ. ومات سنة ٩٥هـ [٧١٣م] تولى ولاية العراق عام ٧٥هـ من قبل الخليفة عبد الملك بن مراوان بعد أن أستشرى الفساد فيها. وقد نشأ الحجاج بمدينة الطائف التى تركها وانتقل منها إلى الكوفة ثم إلى البصرة لمزاولة عمله فى الولاية.

وقد اشتهر الحجاج بالقسوة والطغيان والجبروت والفصاحة والبلاغة وطالما توعد القوم بما لا تحمد عقباه ونفذ ما توعدهم به.

وقد وصف الحسن البصرى مقدم الحجاج لولاية العراق بقوله [أتانا] أعيمش أضيفن له جميعه يرجلها. وأخرج إلينا قصارا. والله ما عرق فيها عنان فى سبيل الله فقال: يا يعونى فيا يعناه. ثم رقى هذه الأعواد ينظر إلينا بالتصغير وننظر إليه بالتعظيم. يأمرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا عن المنكر ويرتكبه].

وكان موقف الحسن من الحجاج موقف الناصح الأمين الذى لا يبخل بالنصيحة مهما كانت الأحوال والظروف.. ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله، وكان الحسن كثيرا ما ينصح الحجاج بن يوسف الثقفى تارة عن طريق التصريح وأخرى عن طريق التلميح. وكما كان يعرض به فى خطبه منكرا عليه نفاقه ومخالفة قوله لعمله فيقول: ما زال النفاق مقموعا حتى عم هذا عمامة وهذا سيفا ويقول كذلك: [يتلو كتاب الله على لخم وجذام. ويعظ وعظ الأزارقه ويبطش بطش الجبارين] ويقول: اتقوا الله واعدلوا فإن عند الله حجا جين كثيرا.

وقال الحسن: يا أيها الناس والله ما سلط الله عليكم الحجاج إلا عقوبة فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم بالسكينة والتضرع.

علاقة الحسن البصرى بعمر بن عبد العزيز:

لما انتهى عهد الحجاج الثقفى ومن بعده عهد سليمان بن عبد الملك تنفس الناس الصعداء وسجدوا لله شكرا على زوال عهد الحجاج. ثم بعد ذلك جاء عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم الأموى القرشى خامس الخلفاء الراشدين - وقد بويع بالخلافة فى مسجد دمشق سنة ٩٩هـ فسكن الناس فى أيامه ومنع سب على بن أبى طالب. واستمر فى الخلافة حوالى سنتين ونصف حتى وافاه الأجل المحتوم سنة ١٠١هـ.

وقد وجد الحسن البصرى فى توليه عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح، والحاكم العادل. ووجد الحسن البصرى فى هذا ضالته، كما رأى فيه تحقق حلمه الكبير الذى كان يراوده وأعجب به كثيرًا نظرًا لأدبه الإسلامى الرفيع، وعلمه النابع من كتاب الله وسنة نبيه وأسقاطه الجزية عمن أسلم بمجرد توليته للخلافة، وحرصه الشديد على صد أى عدوان على الأراضى الإسلامية ووقوفه بجانب المظلومين والكادحين. وموافقه عمله لقوله. وهكذا.

كل هذه الأمور الجليلة وغيرها مما لم يذكر جعلت الحسن البصرى يقوم بدور إيجابى فى بناء الدولة الإسلامية ويسهم مساهمة فعاله فى توجيه الدولة إلى النظام المنشود الذى لا يختل أبدا إذا أتبع. وبدأ بالفعل فى إرسال عدد من الكتب إلى المسئول عن الدولة وفى مقدمة تلك الكتب كتاب يصف فيه الإمام العادل وقد أرسل إلى عمر بن عبد العزيز كتابًا يقول فيه [إعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل. وقصر كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل كالراعى الشفيق على أبله والأب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا، ويكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته].

وقد تولى الحسن البصرى فى عهد عمر بن العزيز القضاء. وقد أدى الحسن فريضة الحج مع الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز. فكان يجتمع عليه خلق كثير فى الطواف يستمتعون حديثه.

شيوخ الحسن البصرى:

من العوامل الأساسية التى كونت شخصية الحسن البصرى وأثرت فيه شيوخه وأساتذته الذين أخذ عنهم وأفاد من عملهم وتجاربهم ومنهم بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. ومنهم من شهد بدرًا..
قال الحسن [والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف.

ومن أهم شيوخة الذين افاد منهم:

١ - **أنس ابن مالك رضى الله عنه:** خادم النبى صلى الله عليه وسلم، وقال أنس رضى الله عنه يومًا: سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا وحفظ ونسينا. وكانت العلاقة وثيقة الصلة ولذا قال أنس: إنى لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين: الحسن وابن سيرين. وكان الحسن كثيرا ما يشتبه بأنس فى كثير من الأمور مثل لبس العمامة السوداء، وتصغير اللحية والتقرب إلى الله تعالى وحبه للنبى صلى الله عليه وسلم.

وقد روى الحسن عن أنس بن مالك بعض الأحاديث النبوية منها:

رواية الحسن عن أنس بن مالك فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [الحكمة تزيد الشريف شرفًا وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك].

ومنها: ما رواه الحسن عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال [لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارا ولا الناس إلا شُحا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدى إلا عيسى بن مريم].

ومنها: عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم [أن مؤمنى الجن لهم ثواب وعليهم عقاب. فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيهم فقال: على الأعراف وليس فى الجنة مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فسألناه وما الأعراف؟ فقال حائط فى الجنة تجرى فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار].

٢ - عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: وقد أفاد منه الحسن خاصة فى تفسيره للقرآن الكريم. ومما يدل على ذلك أن الحسن فى تفسير قوله تعالى [والشجرة الملعونة فى القرآن][1] يرى أنها شجرة الزقوم نقلا عن ابن عباس حيث أخبر أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أخبرهم [أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك فقال أبو جهل عليه لعنه الله: هاتوا لنا ثمرًا وزبدًا وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول: تزقوا فلا نعلم الزقزم غير هذا].

وأفاد الحسن رحمه الله. أن ابن عباس رضى الله عنه صعد المنبر بالبصرة نقرأ سورة البقرة تفسرها حرفا حرفا وكان مثجايسيل غربا.

وكان الحسن يحبه حبًا شديدًا وقال عنه: إن ابن عباس كان من الإسلام بمكان، إن ابن عباس كان من القرآن بمكان. كان والله له لسان سؤول وقلب عقول، وكان والله مثجّايسيل غربا وكان يسمى البحر وحبر قريش.

---

(١) سورة الاسراء الآية (٦٠).

٣ - **عامر بن عبد القيس:** وهو من تلاميذ أبى موسى الأشعرى. ولم يدرك المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقبيلته تتصل بقبيلة سلمان الفارسى. وقد حضر مع قبيلته إلى البصرة وأُطلق عليه [أبو عمرو البصرى] وقد التقى فيها بأبى موسى الأشعرى وقرأ عليه القرآن. وكان يجاهد نفسه: صيام بالنهار - غالبا - وقيام بالليل حتى قال: تعزوا عن الدنيا بالقرآن من لم يتعز بالقرآن تقطعت نفسه حسرات.

وكان من أوائل من أسسوا مدرسة الزهد فى البصرة وأفاد منه الحسن فوائد جمة حتى تكوين شخصيته وكثرة عظاته وورعه وزهده وخشيته من الله تعالى.

٤ - **صلة بن أشيم:** وهو من كبار التابعين الذين تأثر بهم الحسن وكان من عوامل تكوين شخصيته وكان يُطلق عليه رجل الشفاعه والزهد. وظل يجاهد أعداء الله حتى ختمت حياته بالشهادة فى سبيل الله تعالى فى أوائل إمرة الحجاج على العراق.

وقد أفاد منه الحسن الكثير مما كان سببا فى استاذيته وإمامته.

٥ - **هرم بن حيان العبدى:** وهو من شيوخ الحسن وكان ثقة زاهدا له فضل فى العبادة وكان الحسن البصرى يتشبه به كثيرًا فى زهده وورعه وتقواه ومواعظه. وروى عنه الكثير. من ذلك ما رواه عنه من قوله: أعوذ بالله من زمان يمرد فيه صغير هم ويأمل فيه كبيرهم. وتقترب فيه آجالهم. فقيل له: أوصنا: فقال: أوصيكم بخواتيم سورة البقرة.

وروى عنه قوله: عجبت من الجنة كيف ينام طالبها، وعجبت من النار كيف ينام هار بها [أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون][1] ثم يقرأ والعصر، وألهاكم التكاثر...ثم يعود إلى بيته فإذا رأى أهله يكثرون الضحك أمرهم بالصلاة.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٩٧).

وقدا قتبس الحسن البصرى من حياته ما جعله فى عداد، الأصفياء الأخيار.

٦ - **أبو العالية:** هو رفيع بن مهران الرياحى من كبار التابعين أسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين. وصلى خلف عمر بن خطاب رضى الله عنه.

عرض القرآن الكريم على أبى بن كعب وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس وهو ثقة حجة. عرض عليه الحسن البصرى القرآن الكريم. وأفاد منه كثيرا.

٧ - **الأحنف بن قيس:** هو الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عباد. أدرك عهد النبى صلى الله عليه وسلم. ولما أتى النبى صلوات الله عليه وسلامه بنى تميم يدعوهم إلى الإسلام كان الأحنف فيهم ولم يجيبوا إلى اتباعه. فقال لهم الأحنف: إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن مساوئها فأسلموا وأسلم الأحنف معهم. وكان من جلة التابعين وأكابرهم الذين يضرب بهم المثل فى الحلم والزهد والاخلاص.

روى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وكثير من الصحابة عليهم الرضوان. كما روى عنه عدد كثير من التابعين من أشدهم الحسن البصرى فروى عنه قوله [والله ما سمعت كلمة إلا طأطأ لها رأس لما هو أعظم منها]. وقوله [ما ادخرت الأباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الألباب].

قرناء الحسن البصرى:

قرناء الحسن البصرى من العلماء كثيرون. وإذا كان شيوخ الحسن تركوا أثرا ظاهرا فى حياته فلا ننسى أن أقرانه الذين عاش بجوارهم وتعامل معهم وزاملهم أفاد من علمهم لأن الإنسان قد يستفيد بعلم تلميذه وقرينة وسلوكه.

والحسن البصرى له قرناء أفاضل كثيرون له بهم صلة وثيقة تذكر منهم:

١ – **ابن سيرين:** وهو محمد بن سيرين النصارى كان أبوه مولى أنس بن مالك رضى الله عنه. وكان ورعا زاهدا فقيها حافظا مؤدبا دقيق العبارة وروى عن كثير من الصحابة وله بالحسن البصرى صلة وثيقة. وكان يعبر الرؤيا.

وكان كل من الحسن وابن سيرين له فى الآخر وجهة نظر. فكان الحسن لا يعجبه فى ابن سيرين شدة تقته فى تعبير الرؤيا. كما أن ابن سيرين لا يعجبه فى الحسن اندفاعه فى التفسير كأنه شهد التنزيل.

موازنة بين الحسن البصرى وابن سيرين:

كان الحسن متناهلا فى التجارة لا يردها، وابن سيرين كان دقيقا فيها على حذر كان الحسن غضوبا غزير الدمع حزينا، وابن سيرين كان حليما ضحوكا فرحا، كان الحسن يروى الحديث بالمعنى متساهلا، وابن سيرين كان متشددا دقيقا فى الراوية، الحسن كان قوى الذاكرة بينما ابن سيرين ضعيف الذاكرة حتى أنه كان يصلى والمصحف بجواره فإذا شك نظر فيه.

٢ – **عامر الشعبى:** ولد رحمه الله بالكوفة فى العام السابع عشر للهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب وكانت الكوفة مركزًا من مراكز العلم والثقافة والمعرفة كالبصرة.

وقد رأى الشعبى حوالى خمسمائة من الصحابة فأخذ عنهم مثل على والحسين وابن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عامر وأسامة بن زيد وغيرهم.

وروى عنه الكثير مثل سعيد بن مسروق، والأعمش، وسماك بن حرب وشعبة بن الحجاج. وبلغ من قوة ذاكرته أنه كان يعتز بهذه الذاكرة تحدثا بنعمة الله تعالى عليه فيقول: ما كتبت سوداء فى بيضاء.

وقال عنه محمد بن سيرين: إذا جئت الكوفى فاستكثر من حديث الشعبى فإنه كان ليُسأل وإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء.

وكان رحمه الله قاضيا فى عهد عبد الملك بن مراوان، وعمر بن عبد العزيز. وكان يهتم كثيرا بالقرآن الكريم فقد عرضه على السلمى وعلقمة بن قيس وهو القائل القراءة سنة فاقرأوا كما قرأ أولوكم. ومات رحمه الله سنة ١٠٥هـ

٣ - سعيد بن أبى الحسن: وهو شقيق الحسن البصرى. وقد حزن على وفاته حزنا شديدا حتى قيل له: يا أ با سعيد: أنت تعلم الناس وأنهم يرونك تبكى فيذهبون بهذا إلى عشائرهم فيقولون: رأينا الحسن يبكى عند المصيبة - فيحتجون به على الناس. فحمدا لله وأثنى عليه وقد خنقته العبرة فقال: الحمد لله إن الله جعل هذه الرحمة فى قلوب المؤمنين فيرحم بها بعضهم بعضا، فتدمع العين ويحزن القلب وليس ذلك بجزع إنما الجزع من اليد واللسان - ثم قال الحسن: إن الله لم يجعل حزن يعقوب عليه ذنبا إذ قال [وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم][1].

٤ - جابر بن زيد الأزدى: وكان يحب الحسن حبا جما. وبلغ من هذا الحب وهو يحتضر أن أخذ يشتكى من شدة ما به من التعب فقيل له: ما تشتهى؟ قال نظرة من الحسن. فانطلق ثابت النباتى إلى الحسن وهو متوار فى منزل بعض أصدقائه فجاء به إليه فقال: أقعدونى. وأخذ الحسن يتكلم معه بما يناسب المقام.

٥ - بكر بن عبد الله المزنى: وكان كثيرا لحديث حجة ثقة مأمونا ثبتا. وكان يقول: إنى لأرجو أن أعيش عيش الأغنياء وأموت موت الفقراء: وكان إذا لبس كوته يجئ إلى المساكين فيجلس معهم يحدثهم وهم يفرحون به. ولذلك كان الحسن يسميه بكر المسكين. وقد حضر الحسن جنازته وهو على حمار لكبر سنه وضعف صحته.

---

(١) سورة يوسف الآية (٨٤).

تلاميذ الحسن البصرى:

كان الحسن البصرى صاحب مدرسة كبرى. وقد احتل مكانة لم يدانيها من سبقوه أو من عاصروه من مفكرى الإسلام. وتاهت به البصرة على مدن العالم الإسلامى كله. ويمكن القول بأنه كان أسطورة ومنارة مشرقة فى العالم السلامى فى القرنين الثالث والرابع الهجرى، لأن مدرسته لم تكن تختص بفن معين. بل تشعبت فنونها وتعددت مناهجها وكلها تدور حول القرآن الكريم وعلومه والحديث الشريف وعلومه.

وتلاميذ الحسن كثيرون كشيوخه يصعب حصرهم وسأكتفى بذكر بعضهم ممن كانوا على صلة وثيقة به وممن اشتهروا بفن معين من العلوم وهم:

١ - واصل بن عطاء:

وكان وثيق الصلة بالحسن رحمه الله وهو شيخ المعتزلة وأول من لقب بالمعتزلى وهو مؤسس مذهبهم وكان يمتاز بكثرة الصمت وحسن التخلص وحضور البديهة والثقافة الواسعة والتقوى والزهد.

وكان حريصا على سماع دروس أستاذه الحسن. والانتقال معه فى الأسفار والإرتحال فى سبيل الله - كما أنه سن إرسال الرسل فى سبيل الدعوة إلى الله والدفاع عن الرأى الذى يعتنقه، وأصّل الاحتجاج بالاجماع والعقل زيادة على الكتاب والسنة.

وقد التحق بمدرسة الحسن وأصبح تلميذا له فترة طويلة إلى أن اعتزل مجلسه. وكان على صلة بالخوارج والشيعة وأهل الحديث وأرباب النحل المختلفة مما نلمس فى آرائه المزيج من كل هذه الثقافات المتشعبة.

٢ - عمر بن عبيد: هو أبو عثمان عمرو ابن عبيد ولد سنة ٨٠هـ وتوفى سنة ١٤٢هـ من تلاميذ الحسن البصرى وأحد طلاب مدرستة وصفه أستاذه الحسن لمن سأله عنه فقال: لقد سالتنى عن رجل كأن الملائكة أدبته، وكأن الأنبياء ربته. إن قام بأمر قعد به، وإن أمر بشئ كان ألزم الناس به، وإن نهى عن شئ كان أترك الناس له. ما رأيت ظاهرا أشبه بباطن منه، ولا باطنا أشبه بظاهر منه. بين عينيه أثر السجود.

وكان عمرو بن عبيد على جانب كبير من العلم والمعرفة والتفكير غوير العلم. وكان معتقا لرأى أساتذه الحسن إلا أنه كان وثيق الصلة كذلك بواصل بن عطاء حيث كانت آراؤهما الكلامية متوافقة فى الغالب. غير أنه كان يرى أن مرتكب الكبيرة منافق كما يرى ذلك أستاذه الحسن البصرى مخالفًا فى هذا واصل بن عطاء حيث يرى أنه فاسق أو فى منزلة بين المنزلتين.

ولكن كان له بعض الآراء القاسية مثل تفسيق بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الذين اشتركوا فى حرب الجمل وصفين.

٣ - قتادة السدوسى: هو قتادة بن دعامة السدوسى البصرى. أحد الأئمة الأعلام تلميذ الحسن البصرى. ولد سنة ٦١هـ وتوفى سنة ١١٧هـ.

روى عنه سليمان التميمى، ومطر الوراق وغيرهما.

قال عنه سعيد بن المسيب: ما أتانى عراقى أحفظ من قتادة. وكان متشبعًا بروح أستاذه الحسن البصرى روايا عنه الكثير من آرائه وبخاصة فى تفسير القرآن الكريم. ويتجلى ذلك فى تفسير قوله تعالى [واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم][1] ونسخ هذا الحكم بآية النور بحد الزناة [الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة][2] ففسر آية النساء بالحبس فى البيوت، وجعل إقامة الجلد عليهما حدا.] وكذلك الحبس فى البيوت. قبل نزول آية النور حدا لهما.

٤ - أبو عمرو بن العلاء: هو زياد بن العلاء بن عمار بن الحسين بن الحارث المازنى البصرى كازرونى الأصل: نسبة إلى كازون بلدة بفارس.

ولد بمكة المكرمة سنة ٦٨هـ فى عهد عبد الملك بن مروان ونشأ بالبصرة وتوفى بالكوفة سنة ١٥٤هـ.

---

(١) سورة النساء الآية (١٥).

(٢) سورة النور الآية الثانية.

وهو أحد خريجى مدرسة الحسن البصرى فى علم القراءات واللغة العربية, وكان على جانب من الزهد وإتقان القرآن الكريم من جميع جوانبه. وقد أخذ عنه بعض كبار العلماء منهم يونس بن حبيب المصرى، والخليل بن أحمد. وأبو محمد ابن المبارك وغيرهم.

٥ - **عيسى الثقفى:** هو عيسى بن عمر الثقفى النحوى البصرى صاحب كتابى الجامع والكامل فى النحو. عرض القرآن الكريم على شيخه الحسن البصرى. وكان عالما بالنحويات غير أن كتابيه الجامع والكامل ليس لهما أثر يوجد الآن. على الرغم من شدة تمكنه فى العربية.

٦ - **فرقد السنجى:** هو فرقد بن يعقوب السنجى من كبار زهاد المسلمين فى عهد الحسن الذين اشتهروا بكثرة العبادة لله تعالى وقد امتنع كثيرًا عن الطعام مع وجود استاذه الحسن مما اشتهر بفكرة الجوع الذى كان سمة لبعض العباد والزهاد بالشام الذين أطلق عليهم [الجوعية] قائلا فى ذلك [ويل لذى البطن من بطنه إن أجاعه ضعف وإن أشبعه ثقل] ومع زهده وورعه كان ناقدا للحكام كما كان يفعل أستاذه الحسن بالحكمة واللباقة. ومن أقواله فى ذلك [إن ملوك بنى إسرائيل كانوا يقتلون قراءهم على الدين، وإن ملوككم يقتلونكم على الدنيا فدعوهم والدنيا].

وقد حمل فرقد - رحمه الله - فكر الحسن من ناحية الوعظ والارشاد والنصح للأمة [طوبى للناطق فى آذان قومه يسمعون كلامه. وما تصدق رجل بصدقة أعظم أجرًا عند الله من موعظة قوم يصيرون بها إلى الجنة].

٧ - **مالك بن دينار:** من تلاميذ الحسن. وقد أقبل على مجالس الحسن وغيره إلا أن الحسن بالذات كان يملك عليه فؤاده حتى أقبل بكليته على الله وترك ما عداه. ومما يدل على صلته الوثيقة بالحسن والإفادة من علمه وتجاربه أنه لما وقعت الفتنة أتى مالك الحسن البصرى يسأله: يا أيا سعيد ما تأمرنى؟ فلا يجيبه الحسن وتردد عليه ثلاثة أيام والحسن على موقفه. ثم قال له مالك: يا أبا سعيد أتيتك ثلاثة أيام أسألك وأنت معلمى فلا تجيبنى؟ والله لقد هممت أن آخذ الآرض بقدمى وأشرب من أفواه الأنهار وآكل من بقل البرية حتى يحكم الله بين عباده فأرسل الحسن عينيه باكيا ثم قال: يا مالك ومن يطيق ما نطيق؟ لكنا والله ما نطيق هذا.

٨ - **شعبة بن الحجاج:** هو شعبة بن الحجاج بن الورد بن الفتكى. نزيل البصرة ومحدثها وعالمها. أمير المؤمنين فى الحديث فى زمانه. كان أكبر من سفيان الثورى بعشر سنين. وكان صواما قواما عابدا راويًا للشعر وكان يتحرج كثيرا من رواية الحديث خوفا من أن يقول حديثا مكذوبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فى الحديث المتواتر [من كذب علىَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار] ولهذا روى عن شعبة أنه قال: ما أنا مغتم على شئ أخاف أن يدخلنى النار غيره بمعنى الحديث. لذا كان يتشدد مع الكذابين فى الحديث والواضعين له.

رأى شعبة أنس بن مالك وروى عنه وسمع كثيرا من التابعين كالحسن البصرى وابن سيرين وغيرهم . وروى عنه سفيان الثورى وغيره. وتوفى بالبصرة سنة ١٦٠هـ وهو ابن ٧٥ سنة.

وهناك الكثير من تلاميذ الحسن ومدرستة لا يقلون أهمية عمن ذكرنا هم مثل: جويرية بن بشير البصرى، ويونس بن عبيد، وسلام بن سليمان الطويل، وعبد الواحد بن زيد، ومطر الوراق، وأبى محمد بن ثابت بن أسلم البنان وغيرهم.

أنماط من الفكر عند الحسن البصرى:

إن الإمام الحسن البصرى قد منَّ الله تعالى عليه بعقل راجح. وفكر راشد. وعلم غزير متشعب الجهات، متنوع النواحى. لا نستطيع فى هذه العجالة الموجزة أن نبرز شخصيتة وعظمته على حقيقتها. وأن نحيط بما أنعم الله به عليه من العلوم والمعرفة حيث تربى رحمه الله - على تراث السلف الصالح رضوان الله عليهم. وبالطبع لن نستطيع الوقوف على جميع أفكاره وحصرها؛ لأن معنى هذا أن نحصى كل ما جاءت به قريحه فى علوم القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة والفقة الإسلامى العظيم والزهد الرائد، والتوحيد والعقائد، والدعوة إلى الله على بصيرة وغير ذلك كثير وكثير ولكنى سأكتفى بذكر بعض النماذج وطرح بعض الأمثلة:

١ - فى علوم القرآن الكريم:

لا شك أن خير ما يجب على المسلم أن يهتم به فى حياته هو القرآن الكريم قراءة وتدبرًا وعملاً وترتيلا [وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يدية ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد][١] وصدق الله إذ يقول [كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير][٢].

وقد يسر الله قراءته للبشرية مهما اختلفت ألسنتهم وتعددت لهجاتهم [ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر] وهذا التيسير إنما يتحقق إذا استطاع العدد الكبير من البشرية تلاوته وتدبره. وهذا ما حدث بالفعل فقد استطاع جميع القبائل فى الجزيرة العربية وغيرها قراءته بلهجاتها المختلفة. غاية ما فى الأمر أن هذا كله فى إطار اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم والتى لا يبلغ الإعجاز أو التحدى إلا بها [قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون][٣].

ولقد كان للحسن البصرى قدح معلى وسهم وافر فى علم القراءات - على الرغم مما تعرض له ذلك العلم من الجدل والبحث ليس هذا مكانة - مما يشهد بمكانته فيها. فقرأ رحمه الله القرآن على شيخه حكان الرقاشى عن أبى موسى الأشعرى، كما عرضه على أبى العالية عن أبى بن كعب وزيد ابن ثابت وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم. وكذلك تتلمذ عليه نخبه ممتازة من العلماء الأجلاء مثل يونس بن حبيب البصرى والخليل بن أحمد وأبو محمد ابن المبارك وعيسى بن عمر الثقفى وغيرهم.

ويكفى الحسن البصرى ما قاله الإمام الشافعى عن قراءته [لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفحصاحته].

التفسير: يعتبر تفسير القرآن الكريم من أهم علوم القرآن قال تعالى [وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون].

---

(١) سورة فصلت الآية (٤١) - (٤٢)

(٢) سورة هود الآية الأولى.

(٣) سورة الزمر الآية (٢٨).

وقد بين الإمام السيوطى الشروط الواجب تحققها فيمن يتعرض لتفسير القرآن الكريم وهى بإيجاز [علم اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة المتمثلة فى المعانى والبيان والبديع.. وكذلك علوم القراءات وأصول الدين. وأصول الفقه وأسباب النزول. والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفصل والمحكم والمتشابه وغير ذلك. وهذه الشروط كانت متوافرة فى السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومنهم الحسن البصرى رحمهم الله جميعا. وكان رحمه الله على دراية رائدة بهذه الناحية فقد قال عن نفسه [ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وما أريد بها].

وآراؤه فى التفسير موجودة فى تفاسير القرطبى والطبرى والآلوسى وابن كثير وغيرها. وسنذكر بعض النماذج لفكره فى التفسير:

١ - يقول الحسن البصرى فى تفسير قوله تعالى [واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون... إلى قوله سبحانه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين][1].

يقول: إن الله تعالى حرم على اليهود صيد الحوت يوم الجمعة وأحله فيما سوى ذلك من الأيام. فكانوا يأتيهم فى يوم التحريم كالمخاض ما يمتنع من أحد بسبب المحنة والاختبار بالطاعة. فجعلوا يهمون بأخذه ويمسكون بأخذه مخافة وتعبدا ثم عزموا عليه فأخذوه وأكلوه مع تحريمه عليهم فنودوا ثلاثًا وهم نائمون ثم نودوا: يا أهل القرية: فانتبه الرجال والنساء والصبيان فقيل لهم [كونوا قردة خاسئين] فكانوا. ثم يقول الحسن: وأيم الله لحرمة عبد مؤمن يقتل ظلمًا عند الله من كل حوت خلق. ولكن الله جعل موعدا لقيام الساعة والساعة أدهى وأمر.

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٦٣).

فنلمح فى تفسير الحسن البصرى للآية أمورا منها:

أ - أنه نظر إليها بطريق الإجمال. مركزا على لب الموضوع دون الالتفات إلى التفاصيل التى كثيرا ما تؤدى إلى الأخذ من الاسرائيليات.

ب - محاولته دائما فى تفسيره أخذ العبرة والعظة. ليكون للتفسير الفائدة المرجوة. ولهذا كانت المقارنة العجيبة بين قتل المؤمن وكل حوت خُلق لأن الحيتان التى قتلها بنو اسرائيل تسبب عن قتلها انهيار الإنسانية لبنى إسرئيل فى هذا الوقت وتحويلهم إلى القردة والخنازير. فكأن قتل المؤمن ظلماً - فى رأيه - أشد وأعظم عند الله من تحويل الإنسان إلى فصيلة القرود والخنازير عملا بحديث [لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم][1].

جـ - البعد ما أمكن عن الغرائب والمتاهات التى تخرج القارئ عن الغاية المرجوة.

٢ - يقول الحسن البصرى فى تفسير قوله تعالى [إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون][2] يقول فى معناها بعد ما قرأها إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله فى آية واحدة - فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله عز وجل إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئًا إلا جمعه.

وبالنظر إلى هذا التفسير نراه جامعا مانعا لما قاله السلف الصالح فى عبارة موجزة مفيدة رائدة فى الوعظ والدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) سنن الترمزى كتاب الديات ٩٩/٣ برقم ١٤٠٠، سنن ابن ماجه كتاب الديات ٨٧٣/١ برقم ٢٦١٥.

(٢) سورة النحل الآية (٩٠).

وكان رأيه أن يعتبر ويتدبر ما يقرأ من القرآن الكريم. فمن ذلك أنه كان مثلا إذا تلا قوله تعالى [لنحيينه حياة طيبة][1] قال لنر زقنه طاعة يجد لذتها فى قلبه – ويقول: كل حياة ابن آدم والله مُرة إلا حياته فى الجنة.

٣ – فى الحديث الشريف وعلومه:

إن السنة النبوية المطهرة تعتبر المصدر الثانى للشريعة الإسلامية.
وهى عبارة عن ما أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم من وقول أو فعل أو صفة أو تقرير مما يتصل بهداية الناس إلى ما فيه سعادتهم فى الدارين.

ونظرا لتربية الحسن البصرى فى بيت النبوة حيث تربى فى بيت أم سلمه رضى الله عنهما بالمدينة المنورة. ونشأ فى المنطقة التى شهدت الكثير من الصحابة عليهم الرضوان فقد رأى عثمان بن عفان وسمع منه وروى عنه وكذلك عمران بن حصين وسمرة بن جندب وابن عباس وغيرهم من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

لذلك كان الحسن البصرى كما قال عنه الذهبى [كان ثقة فى نفسه حجة، رأسا فى العلم والعمل عظيم القدر فى الحديث وعلومه].

وقال عنه ابن سعد [كان الحسن البصرى جامعا عالما عاليا رفيعا فقيها ثقة مأمونا عابدا ناسكا كبير العلم. وكان ما أسند من حديثه وروى عمن سمع منه فحسن حجة. وما ارسل من الحديث فليس بحجة].
وقال الحسن عن نفسه [كنت إذا اجتمع لى أربعة من الصحابة على حديث أرسلته]

وروى عن الحسن أنه روى حديثا. فلما روجع فيه قال: [حدثنى به سبعون بدريا ومعظم العلماء مجمعون على فضله وعلمه. ولكن ينسبون إليه الارسال فى الحديث.

---

(١) سورة النحل الآية (٩٧).

الحديث المرسل:

هو ما أضافه التابعى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الواسطة - أى الصحابى الذى روى الحديث. مثل ما روى عن الحسن البصرى قال: لما نزلت [ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا][1] قال: يا رسول الله ما السبيل؟ قال [الزاد والراحة].

فنحن نرى فى هذا المثال أن الحسن البصرى لم يذكر الواسطة بينه وبين الرسول عليه الصلاة والسلام. لذلك كانت مرسلات الحسن البصرى محل نظر عند العلماء

أ - **قال بعضهم:** مرسلات الحسن إذا رواها عنه الثقات فهى صحيحة.

ب - **وقال بعضهم:** كل شئ يقول الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت له أصلا ثابتا ماخلا أربعة أحاديث.

جـ - **وقال بعضهم:** كل ما رواه وجدنا له أصلا غالبا

وعلى ذلك: فإن مراسيله والحمد لله مقبولة عند الكثير من العلماء.

٤ - موقفه فى الفقة الإسلامى:

إن المقصود بالفقة فى اصطلاح العلماء. هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أولتها التفصيلية. مثل الكتاب والسنة والاجماع والقياس وهكذا وهو علم يحتاج إلى نظر وتأمل فى الأدلة ليتوصل إلى معرفة الحكم الشرعى.

وكذا: لا يجوز أن يسمى الله تعالى [فقيها] لأنه لا يخفى عليه شئ. كما لا يجوز أن يسمى الرسول كذلك فقيها، لأنه [ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وهى يوحى علمه شديد القوى][2].

---

(١) سورة آل عمران الآية (٩٧).

(٢) سورة النجم الآيات (٣-٤-٥).

والحسن البصرى من فقهاء التابعين. قال عبد الرحمن بن زيد بن مسلم [لما مات العبادلة الأربعة: عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص: صارا الفقه فى جميع البلدان إلى الموالى: فقيه مكة عطاء وفقية اليمن طاوس، وفقيه اليمامة يحيى بن كثير، وفقيه البصرة الحسن البصرى، وفقيه الكوفة إبراهيم النخعى. وفقيه الشام مكحول الدمشقى، وفقيه خراسان عطاء الخراسانى.

فالحسن البصرى بلا منازع أحد الفقهاء المشهورين الذين تركوا أثرًا كبيرا فى الفقه الإسلامى. وله آراء فى الفقه امتلأت بها كتب الفقه القيمة التى يعتد بها مثل المغنى لابن قدامه، والأم للإمام الشافعى، والمحلى لابن حزم، وإعلام الموقعين لابن القيم وشرح فتح القدير للكمال بن الهمام. واختلاف الفقهاء للطبرى. وسأذكر بعض النماذج ليتبين منها فكر الحسن البصرى فى الفقه والتشريع الإسلامى.

١ - الحرية الدينية فى فكره: للحسن البصرى فى هذا المجال كلام يجب أن ينظر إليه بعناية فائقة. فقد أرسل إليه عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين يسأله [ما بال الخلفاء الراشدين تركوا أهل الذمة بما هم عليه من الزواج بالمحارم التى لا تحل فى دين الإسلام، واقتناء الخمور والخنازير؟ فكتب إليه الحسن: [إن الإسلام يوجب تركهم وما يعتقدون وإنما أنت متبع ولست بمبتدع].

وهذا يعتبر منه اقتداء بما كان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما دخل كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة غادرها إلى الخارج وأدى الصلاة الواجبة. ولما سئل عن ذلك قال: إنى أخشى إذا ما صليت فى الكنيسة أن يقول المسلمون: هنا صلى عمر ثم يتخذوها مسجدا. ولا يزال مسجده خارج الكنيسة إلى اليوم شاهد صدق على سماحة الإسلام وحمايته للحرية الدينية.

٢ - **الكلام فى الصلاة:** اتفق العلماء على أن الكلام العمد فى الصلاة لغير إصلاحها يفسدها. لقوله تعالى [وقوموا الله قانتين][١] ولورود السنة بذلك.

أما كلام الساهى والجاهل: فهو محل خلاف بين الفقهاء حيث يرى الجمهور بطلان الصلاة بذلك لعموم أحاديث النهى.

ولكن الحسن البصرى ومالك والشافعى وغيرهم يرون عدم بطلان الصلاة لحديث [إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما أستكرهوا عليه][٢] ولكن ما ذهب إليه الجمهور هو الأرجح.

٣ - **الموت بدون حج مع القدرة عليه:** يرى الحسن البصرى أن من ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافر. مستدلاً فى ذلك بقوله تعالى فى آخر آية [ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا] حيث ختمها بقوله [ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين][٣] وفسر الكفر هنا بعدم أداء الحج مع القدرة عليه. وفى رواية قتادة عن الحسن البصرى قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه [لقد هممت أن أبعث رجالا إلى الأمصار فينظرون إلى من كان له مال ولم يحج فيضربون عليه الجزية فذلك قوله تعالى [ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين].

٤ - **الزكاة فى مال الصبى والمجنون:** يرى الحسن البصرى عدم وجوب الزكاة فى مال الصبى والجنون مطلقا ما داما دون البلوغ وفاقدى العقل الذى هو مناط التكليف عملا بحديث [ليس فى مال اليتيم زكاة][٤] وحديث [رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ وعن الصبى حتى يكبر][٥] وقال: إن رفع القلم كناية عن عدم التكليف.

---

(١) سورة البقرة الأية (٢٣٨).

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الطلاق ٦٥٩/١ برقم ٢٠٤٥.

(٣) سورة آل عمران الآية (٩٧).

(٤) سنن الترمذى كتاب الزكاة ١٣٤/٢ برقم ٦٤١.

(٥) سنن النسائى كتاب الطلاق ١٥٦/٦.

٥ – **موقفة من سب الولاة قال الحسن البصرى:** يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا تسبوا الولاة: فإنهم إن أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر. وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر. وإنما هم نقمة ينتقم الله بهم ممن يشاء فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية والغضب واستقبلوها بالاستكانة والتضرع].

٦ – **فى توزيع الغنيمة:** يرى الحسن البصرى فى الرجل يكون فى الغزو ومعه الأفراس: قال: لا يقسم له من الغنيمة لأكثر من فرسين.

٧ – **رأية فى التفسير:** حدث سفيان بن عينية عن الحسن البصرى قال: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس: يا رسول الله ألا تسعِّر لنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم [إن الله هو المسعِّر إن الله هو القابض. إن الله هو الباسط. وإنى والله ما أعطيكم شيئا ولا أمنعكموه ولكن إنما أنا خازن أضع هذا الأمر حيث أمرت وإنى لأرجوا أن ألقى الله وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمتها إياه فى نفس ولادم ولا مال].

٨ – **إحياء الأرض الموات:** حدث الحسن البصرى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه [من أحيا أرضا ميتة فهى له. وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين]

٩ – **حريم البئر:** حدث إسماعيل بن مسلم عن الحسن البصرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [من حفر بئرا كان له مما حوله أربعون ذراعا عطنا لماشيته][1].

١٠ – **فى الجزية:** كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبرى بن أرطأة كتابا يقرؤه على منبر البصرة: أما بعد: فأسأل الحسن بن أبى الحسن: ما منع من قبلنا من الأئمة أن يحولوا بين المجوس وبين ما يجمعون من النساء اللاتى لم يجمعهن أحد من أهل الملل غيرهم؟ فسأل عدى الحسن فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبل من المجوس أهل البحرين الجزية وأقرهم على مجوسيتهم.

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب الرهون باب حريم البئر ٨٣١/٢ برقم ٢٤٨٦.

١١ - **الدية:** يرى الحسن البصرى أن الدية فى القتل يكون الشأن فيها إلى المعطى إن شاء فالا بل: مائة من الإبل. وعلى أهل البقر ما ئتى، وعلى أهل الشياة ألفى شاة وعلى أهل الحلل مائتى حلة. وإن شاء دفع القيمة.

١٢ - **شبه العمد:** يرى الحسن البصرى أن قتيل السوط والعصا شبه عمد.

١٣ - **الحر لو قتل عبدا:** يرى الحسن أن الحر الذى يقتل عبدا خطأ عليه قيمته يوم قتله بالغا ما بلغ.

١٤ - **لاحد على مستكرهة:** يرى الحسن البصرى أن المرأة التى تستكره على الزنا لا حد عليها.

١٥ - **السرقة من الغنيمة:** يرى الحسن البصرى أن الرجل إذا سرق من الغنيمة وله فيها شئ لم يقطع. وإن سرق منها وليس له فيها شئ قُطع.

١٦ - **حمل السلاح للأعداء:** يرى الحسن أنه لا يحل لمسلم أن يحمل إلى عدو المسلمين سلاحا يقويهم به على المسلمين ولا ما يستعان به على السلاح.

١٧ - **موقف الحسن من الأسرى:** كره رحمه الله قتل أسرى الحرب.